الجيش المصري في مواجهة التدخّل الأجنبي الثورة العرابيّة (١٨٨١-١٨٨٢م) أنموذجًا

نبيل السيِّد الطوخي[١]

تمهيد

شكَّل الجيش المصري عبر العصور القلب النابض لمصر وشعبها وتاريخها وتراثها، هو أقدم وأعرق مؤسّسة عسكريّة في التاريخ، وكان ذلك الجيش الدرع والسيف الذي عمل على حماية مصر القديمة ومنجزاتها الحضاريّة العظيمة من قوى العدوان والتخريب والهجمات البربرية[٢]. ويستقرّ الرأي لدى الباحثين في مجمل تاريخ العالم على أنّ المصريّين هم أوّل من قدّم فكرة الجيش كقوات نظاميّة تقوم بالدفاع عن البلاد من هجمات القبائل العابرة أو الطامعين في خيرات البلاد بعد نشأة ومولد كيان الدولة ذات الحضارة الزراعيّة المستقرّة على ضفاف النيل[٣]، وكفاح الجيش المصري ضد الغزاة متّصل عبر التاريخ، وتسجل صفحات التاريخ مواقفه الخالدة منذ أوّل استعمار في تاريخ مصر وهو غزو الهكسوس لها حوالي عام ١٧٣٠ق.م[٤].

---

١. أستاذ التاريخ الحديث والمعاصر ورئيس قسم التاريخ، كلية الآداب، جامعة المنيا – مصر.

٢. عباس، محمّد رأفت، الجيش في مصر القديمة عصر الدولة الحديثة (١٥٥٠-١٠٦٩ق.م) ج١، ص٣٣. وجدير بالذكر أنّ الجندية في مصر القديمة كانت من أهم المهن التي تسبغ الشرف على صاحبها، وتمنحه ميزة -إن لم تكن ميزات- على أقرانه، بل أكثر من ذلك فإن الجندي حظ بالتقدير والاحترام مثلما حظي الكاهن نفسه. لمزيد من التفاصيل انظر: زكي، عبد الرحمن، الجيش في مصر القديمة.

٣. الحريري، طارق، جيش الوطن في العصر الحديث، ص٤٦.

٤. الجيش في مصر القديمة، م. س، ص١٣٤؛ عباس، محمّد رأفت، الجيش في مصر القديمة عصر الدولة الحديثة (١٥٥٠-

في هذا البحث سوف نعرض لدور الجيش المصري في مواجهة التدخل الأجنبي خلال الربع الأخير من القرن التاسع عشر في وقت وصل فيه هذا التدخّل مداه، وزاد التذمّر من ضعف الحكومة وسوء إدارتها وتهاونها في حقوق المصريّين، وتخاذلها أمام التدخّل الأجنبي، وكان لهذا كلّه أكبر الأثر في قيام الثورة العرابيّة (١٨٨١-١٨٨٢م) وفي أن يكون الجيش المصري طليعة الحركة الثوريّة في مصر وقوّتها الدافعة.

- أحوال الجيش قبيل قيام الثورة العرابيّة

نجح محمّد علي في تأسيس جيش حديث من المصريّين منذ عام ١٨٢٠م، واستطاع هذا الجيش المصري الجديد أن يثبت جدارته الحربيّة في المعارك التي خاضها في أوروبا أثناء ثورة المورة، وفي الشام أثناء حروب محمّد علي ضدّ السلطان العثماني[١]، وكانت سياسة محمّد علي تقضي بعدم منح المصريّين وظائف كبرى في الجيش[٢]؛ لأنّه لم يكن يثق بهم كقادة ولا كضباط، حيث خاف على سلطته منهم[٣]، وعندما كتب إبراهيم باشا بن محمّد علي إلى أبيه طالبًا فتح باب الترقّي أمام المصري للرتب العليا والقيادية ردّ عليه قائلاً: «ومن المعلوم يا ولدي أنني تجنّبت حتى الآن ترقية العرب إلى الرتب العليا، وظللتُ محجمًا عنها مدّة طويلة مقدرًا النتائج التي ستترتّب عليها بعد مئة سنة»[٤].

لقد كان محمّد علي يدرك بثاقب بصيرته وقدرته على تكوين رؤية مستقبليّة أنّ المصري لن يتوانى عن الثورة على حكم أسرة محمّد علي إذا ما تولّى المصري المراكز القياديّة. ولقد كان محقًا في توقّعه ولكن بعد أربعين عامًا فقط وليس بعد مئة عام.

١٠٦٩ق.م)، ج٢، ص٦٣ وما بعدها.

١. السيِّد الطوخي، نبيل، تاريخ مصر الحديث (١٥١٧-١٩١٤م)، ص١٢٢-١٢٣، ولمـزيد من التفاصيل انظر: الرافعي، عبد الرحمن، عصر محمّد علي، ص٣٢٢ وما بعدها؛ طوسون، عمر، صفحة من تاريخ مصر في عهد محمّد علي الجيش المصري البري والبحري، ص٣٥ وما بعدها؛ علي، فطين أحمد فريد، صفحات من تاريخ مصر الحديث، ص١٥ وما بعدها.

٢. شولش، إلكسندر، مصر للمصريّين أزمة مصر الاجتماعيّة والسياسيّة (١٨٧٨-١٨٨٢م)، ص٣٤

٣. سالم، لطيفة محمّد، القوى الاجتماعيّة في الثورة العرابية، ص٩٧.

٤. نقلاً عن: نوار، عبد العزيز سليمان، تاريخ مصر الاجتماعي، ص٣٣٥.

وعندما تولّى سعيد حكم مصر (١٨٥٤-١٨٦٣م) أمر بانتظام أولاد العمد والمشايخ في سلك الجندية، وترقيتهم إلى رتبة الضابط من تحت السلاح[١]، وكان أحمد عرابي ورفاقه من زعماء الثورة العرابيّة من بين الفلاّحين الذين دخلوا الجيش في عهد سعيد وترقّوا إلى مراتب الضباط[٢]. ويرى بعض أنّ هذه الخطوة كانت من أهمّ الخطوات التي جعلت الجيش المصري يتصدّر الحركة الوطنيّة[٣].

ولما كان سعيد محبًّا لتقدّم المصريّين، فقد أرتقى في عهده الكثير منهم إلى المراتب العسكريّة العالية ومنهم أحمد عرابي فقد وصل من رتبة جاويش إلى رتبة قائم مقام (عقيد) في أقلّ من ست سنوات، وكان عرابي أوّل من حصل على رتبة قائم مقام من المصريّين على حدّ قوله[٤].

وجاء إسماعيل إلى الحكم (١٨٦٣-١٨٧٩م) ولم يكن نصيراً للضبّاط المصريّين وكان يميّز الضباط الشراكسة[٥] والترك عليهم في المعاملة رغم ما بدا منهم من العجز والجهل وعدم الكفاية، ممّا ظهر أثره جليًّا في الهزائم التي حاقت بالجيش سنة (١٨٧٥-١٨٧٦م) في حرب الحبشة[٦] وعاد عرابي ورفاقه من الضبّاط الوطنيّين الذين اشتركوا في

١. عرابي، أحمد، مذكرات الزعيم أحمد عرابي كشف الستار عن سر الأسرار في النهضة المصريّة المشهورة بالثورة العرابية، ص١٣-٩١.

٢. تاريخ مصر الحديث (١٥١٧-١٩١٤م)، م. س، ص١٥٣.

٣. القوى الاجتماعيّة في الثورة العرابية، م. س، ص٩٨.

٤. مذكرات الزعيم أحمد عرابي كشف الستار عن سر الأسرار في النهضة المصريّة المشهورة بالثورة العرابية، م. س، ص٩٢-٩٣؛ طه، سمير محمّد، أحمد عرابي ودوره في الحياة السياسيّة المصريّة، ص٢٠.

٥. الشراكسة من العنصر القوقازي الأبيض، وأصلهم من بلاد القوقاز وقد وفدوا إلى مصر منذ عصر الدولة الطولونيّة، وعلا نجمهم بعد الفتح العثماني لمصر واستمرّ في عهد محمّد علي وأسرته. نقلاً عن: مذكرات الزعيم أحمد عرابي كشف الستار عن سر الأسرار في النهضة المصريّة المشهورة بالثورة العرابية، م. س، ص١٣، هامش ٤، ولمزيد من التفاصيل عن الشراكسة في مصر في القرن التاسع عشر. انظر: شلبي، حلمي أحمد، الأقليات العرقية في مصر في القرن التاسع عشر، ص٩٧.

٦. الرافعي، عبد الرحمن، الزعيم أحمد عرابي، ص١٦.

حرب الحبشة وقد نمت في أذهانهم بذور الثورة على الأوضاع القائمة[١].

ولم تلبث الوزارة الأوروبيّة الأولى التي كان يرأسها نوبار باشا[٢] أن أدركت مصدر الخطر على الوصاية الأجنبيّة والنفوذ الأجنبي الزاحف، وهو الجيش، فعمدت إلى الاصطدام به وتصفيته بإنقاص عدده بحجّة أنّ الحكومة عاجزة عن الإنفاق عليه، إذ إنّ معظم إيرادات الحكومة خُصّصت لأداء أقساط الديون، فرأت تسريح عدد كبير من الجند، وقرّرت إحالة ٢٥٠٠ ضابط من ضبّاط الجيش دفعة واحدة إلى الاستيداع، ولم يكن الضباط قبل هذا القرار ينالون رواتبهم بانتظام، إذ كانت رواتبهم قد تأخرت على مدى عشرين شهرًا، وهذا وحده كان يكفي لتبرّمهم واستيائهم[٣]، فقاموا بمظاهرة يوم ١٨ فبراير سنة ١٨٧٩م، وقد ترتّب عليها سقوط وزارة نوبار في ١٩ فبراير سنة ١٨٧٩م[٤]، وكان ذلك أوّل تدخّل حقيقي للجيش في النظام السياسي[٥] منذ تكوين الجيش النظامي في عهد محمّد علي[٦].

هزّت حركة الضباط وبعنف تلك الطاعة التي ألفوها، وغمرتهم الأحاسيس بأنهم أصبحوا أقوياء، وأثبتت أنّ هناك تأزّرًا بين العسكريّين والمدنيّين، فأعلن علماء الدين تأييدهم للحركة وأفتوا بشرعيّتها، وساند الأعيان مطالبها، وتجلّى سخط المصريّين على ما هو قائم، ومن ثم عُدَّت مبشرًا ونذيرًا لثورة قادمة[٧].

---

١. القوى الاجتماعيّة في الثورة العرابية، ص١٠٢، مصطفى، أحمد عبد الرحيم، قيادة الثورة العرابية، ص٢٠٩، هامش٨.

٢. لمـزيد من التفاصيل عن هذه الوزارة انظر: رزق، يونان لبيب، تاريخ الوزرات المصريّة (١٨٧٨-١٩٥٣م)، ص٥٥ وما بعدها.

٣. الرافعي، عبد الرحمن، عصر إسماعيل، ج٢، ص١٨٨.

٤. م. ن، ج٢، ص١٨٩ وما بعدها.

٥. بيلي، أحمد، الصفوة العسكرية والبناء السياسي في مصر، ص٢٠٣.

٦. شفيق، أحمد، مذكراتي في نصف قرن، الجزء الأوّل من سنة ١٨٧٣ إلى ٨ يناير سنة ١٨٩٢، ص٣٥.

٧. سالم، لطيفة محمّد، التدخل الأجنبي والثورة الوطنيّة (١٨٧٩-١٨٨٢م)، ص٣٠٣.

الجيش والثورة

منذ مظاهرة ١٨ فبراير سنة ١٨٧٩م تفشّى السخط والقلق في صفوف الجيش المصري[١] وتذمّر الضباط الوطنيّون، من سوء معاملة عثمان رفقي ناظر الجهادية (وزارة الدفاع) للضباط الوطنيّين، وتعصّبه لأبناء جلدته من الشراكسة، كما أنّه أخرج معظم الضبّاط المصريّين من الجيش إلى التقاعد قبل السنّ القانوني، ويضاف إلى ذلك أنّه سنّ قانون للقرعة العسكريّة في ٣١ يوليو سنة ١٨٨٠م يمنع بمقتضاه الترقي من تحت السلاح إلى رتبة الضباط مما يعوق ترقّي الجنود المصريّين وحرمانهم من الوصول إلى أيّ رتبة، بل ويجعلهم أنفارًا تحت تسلّط الضبّاط من الأتراك والشراكسة[٢]، وقد دفعت كل هذه المظالم الضباط الوطنيّين إلى التذمّر، وعلى أثر ذلك تجمع الضبّاط المصريّون في منزل أحمد عرابي (١٦ يناير ١٨٨١م) لمناقشة وضعهم داخل الجيش، وأسفر الاجتماع عن تزعم أحمد عرابي لحركة مطالب الضباط وكتبوا عريضة تطالب رئيس مجلس النظّار (الوزراء) بعزل ناظر الجهادية وتعيين مصري مكانه[٣].

ولم يكن من المتوقّع أن تستجيب الحكومة لمطلب الضبّاط، بطبيعة الحال، بل تقرّر اعتقال زعمائهم وتقديمهم للمحاكمة العسكريّة وهم: أحمد عرابي، وعلي فهمي، وعبد العال حلمي، وفي أوّل فبراير سنة ١٨٨١م عقد مجلس عسكري لمحاكمتهم بديوان ناظر الجهاديّة بقصر النيل، وأثناء المحاكمة كان زملاء الضبّاط قد خرجوا على رأس فرقهم العسكريّة وهاجموا مقر المحاكمة، فهرب المجلس العسكري، وخرج الضباط الثلاثة

---

١. مصطفى، أحمد عبد الرحيم، مصر والمسألة المصريّة من ١٨٧٦ إلى ١٨٨٢م، ص١٣٥.

٢. لمـزيد من التفاصيل انظر: مذكرات الزعيم أحمد عرابي كشف الستار عن سر الأسرار في النهضة المصريّة المشهورة بالثورة العرابية، م. س، ص٢٢٥ وما بعدها؛ الرافعي، عبد الرحمن، الثورة العرابية والاحتلال الإنجليزي، ص٨٨ وما بعدها؛ الجميعي، عبد المنعم الدسوقي، وقائع الثورة العرابية دراسات وثائقية، ص٧٧؛ القوى الاجتماعيّة في الثورة العرابية، م. س، ص١٥٢ وما بعدها.

٣. الثورة العرابية والاحتلال الإنجليزي، م. س، ص٨٩-٩٠؛ الدسوقي، عاصم، محاضرات في معالم تاريخ مصر الحديث والمعاصر، ص١٠٨؛ الصفوة العسكرية والبناء السياسي في مصر، ص٤٠٤.

ومعهم بعض فرق الجيش وتوجّه الجميع إلى قصر عابدين، وطلبوا من الخديوي توفيق (١٨٧٩-١٨٩٢م) عزل ناظر الجهادية وأصرّوا على البقاء، حتى يستجاب لتحقيق مطالبهم، فصدر الأمر بعزل عثمان رفقي وتعيين محمود سامي البارودي ناظرًا للجهادية في أوّل فبراير سنة ١٨٨١م[١]، وقد ترتّب على هذا الحادث نتائج خطيرة، فانتصار العسكريّين قد منحهم الثقة بأنفسهم وبمقدرتهم على تغيير الأوضاع القائمة وفق ما يشاؤون، كذلك كان لهذا الانتصار صدى قويّ في الأوساط الشعبيّة[٢]، فقد بارك الشعب حركة الضباط، حيث وجد فيها تنفيسًا عن آلامه وتقديرًا لآماله في التخلّص من ربقة التدخّل الأجنبي، كما أصبح عرابي وزملاؤه موضع إعجاب الأمّة وتقديرها وتردّد اسمه على أفواه الناس كأوّل فلّاح مصري يقف في وجه الطغيان ويعبر عن آمال الشعب وآلامه، ولم تمض عدّة أسابيع على حادث قصر النيل حتى انهالت عرائض الفلّاحين من جميع أنحاء البلاد على عرابي يشّون إليه شكواهم وما يقع عليهم من مظالم، ففتح عرابي قلبه للجميع[٣]، ولمّا اطمأنّ إلى أنّ الجيش في قبضة يده، والأمّة تناصره، شرع في إحداث الانقلاب الذي كان يرجوه في نظام الحكم، أو بعبارة أخرى أخذ يتأهّب لمتابعة الثورة التي بدأها يوم أوّل فبراير ١٨٨١م[٤].

وجد الخديوي أنّ نفوذ الضبّاط آخذ في الازدياد، فبدأ يعمل على تحجيم وضعهم وتحديد نفوذهم بمختلف الوسائل، فعزل محمود سامي البارودي وولّى مكانه صهره داود يكن. والحقّ أن الخديوي كان يتآمر بغية إلحاق الهزيمة بعرابي والقادة العسكريّين الوطنيّين[٥]، وقد انتهى الأمر بأنّ وضع الجيش نفسه لأوّل مرة منذ العصر الفرعوني موضع

---

١. محاضرات في معالم تاريخ مصر الحديث والمعاصر، م. س، ص١٠٨-١٠٩؛ تاريخ مصر الحديث (١٥١٧-١٩١٤م)، م. س، ص٢٠٠. ولمزيد من التفاصيل انظر: الزعيم أحمد عرابي، م. س، ص٩٣ وما بعدها.

٢. السروجي، محمّد محمود، الجيش المصري في القرن التاسع عشر، ص٤٣١.

٣. وقائع الثورة العرابية دراسات وثائقية، م. س، ص٧٩.

٤. الزعيم أحمد عرابي، م. س، ص٥٣.

٥. مصطفى، أحمد عبد الرحيم، الثورة العرابية، ص٥٧-٥٨؛ عبد الملك، أنور، دور الجيش في الثورة الوطنيّة المصريّة (١٩٥٢-١٩٦٧م)، ص٦٢.

القوّة المنفِّذة لإرادة القوى الوطنيّة، وتمثّل ذلك في اتّفاق عرابي مع زملائه على حشد الجيش لمواجهة الخديوي في ساحة قصر عابدين يوم ٩ سبتمبر ١٨٨١م، وبالفعل سار عرابي إلى ساحة عابدين بفرقته وفرق زملائه من فرسان ومشاة ومدفعيّة، يحوط بهم آلاف من أفراد الشعب، وتقدم عرابي إلى الخديوي بمطالب الأمّة وهي:

١. إسقاط وزارة رياض باشا والغرض من هذا المطلب إسقاط الوصاية الأجنبيّة التي تمثّلها هذه الوزارة.

٢. دعوة مجلس شورى النواب (البرلمان) إلى الانعقاد. والهدف منه إسقاط نظام الحكم المطلق.

٣. زيادة عدد الجيش إلى ١٨ ألف. والغرض منه توفير الأداءة الرئيسيّة التي لا غنى عنها لدعم الاستقلال وحماية البلاد.

٤. التصديق على جميع القوانين العسكريّة السابق وضعها إبان تولّي البارودي نظارة الجهاديّة، والغرض من هذا المطلب تحسين حالة الضباط والجنود والحفاظ على حقوقهم[١].

وردّ الخديوي توفيق على عرابي قائلاً: «كلّ هذه الطلبات لا حقّ لكم فيها وأنا ورثت ملك هذه البلاد عن آبائي وأجدادي وما أنتم إلّا عبيد إحساننا»، فردّ عرابي بجملته الخالدة: «نحن خلقنا الله أحرارًا ولم يخلقنا تراثًا وعقارًا، فوالله الذي لا إله إلا هو أنّنا لا نورث ولا نستعبد بعد هذا اليوم»[٢].

وكان لا بدّ أن ينحني الخديوي مرّة أخرى للعاصفة، فالجيش والشعب من وراء عرابي،

---

١. لمـزيد من التفاصيل انظر: مذكرات الزعيم أحمد عرابي كشف الستار عن سر الأسرار في النهضة المصريّة المشهورة بالثورة العرابية، م. س، ص٢٩٧ وما بعدها؛ الرافعي، عبد الرحمن، الثورة العرابية والاحتلال الإنجليزي، ص١٢٤ وما بعدها؛ التدخل الأجنبي والثورة الوطنيّة، م. س، ص٣١٨-٣١٩؛ رمضان، عبد العظيم، الجيش المصري في السياسة (١٨٨٢-١٩٣٦م)، ص٢٠؛ تاريخ مصر الحديث (١٥١٧-١٩١٤م)، م. س، ص٢٠١.

٢. مذكرات الزعيم أحمد عرابي كشف الستار عن سرّ الأسرار في النهضة المصريّة المشهورة بالثورة العرابية، م. س، ص٢٩٩.

فأقال رياض في الحال، وكلّف محمّد شريف باشا بتشكيل الوزارة مرة أخرى، فتألفت في ١٤ سبتمبر ١٨٨١م حيث عاد البارودي فيها ناظرًا للجهاديّة مرّة أخرى، وسافر عرابي على رأس فرقته إلى رأس الوادي بالشرقية، كما رحل عن القاهرة أيضًا عبد العال حلمي بفرقته، وبذلك كفّ -مؤقتًا- تدخل الجيش في السياسة[١]. وإن دلّ ذلك على شيء فإنّما يدلّ على أنّ أحمد عرابي لم يكن من النوع الذي يسعى إلى السلطة والثورة من أجل الحكم، وإنّما كان يضع مصالح وآمال مصر أمام أيّ هدف آخر[٢].

ويرى بعض المؤرّخين أنّ عرابي بعد ثورة ٩ سبتمبر ١٨٨١م أصبح الحاكم الحقيقي لمصر، وبرز باعتباره زعيمًا وطنيًّا وشعبيًّا وديمقراطيًّا في نظر المصريّين، وأصبح مصدر السلطة الحقيقيّة في مصر بعد انتصاره في ملحمة عابدين يظاهره الجيش والأمّة في وقت واحد[٣].

التدخّل الأجنبي السافر

وبعد تأليف شريف وزارته قدّم طلبًا إلى الخديوي توفيق بدعوة مجلس شورى النواب للانعقاد، ووافق الخديوي، وأجريت الانتخابات، وعقد مجلس شورى النواب أولى جلساته في ٢٦ ديسمبر ١٨٨١م، ورأت إنجلترا وفرنسا في تشكيل مجلس النواب ما يمثّل خطورة على مصالحهما، لأنّ قيام نظام برلماني سوف يجعل من التدخّل الأجنبي الأوروبي أمرًا صعبًا، في حين أنّ نظام الحكم المطلق المستبدّ يسهّل أمور التدخّل، وعلى هذا فقد أرسلت

---

١. الشلق، أحمد زكريا، تطوّر مصر الحديثة فصول من التاريخ السياسي والاجتماعي، ص١٦٦؛ ولمزيد من التفاصيل عن وزارة محمّد شريف باشا الثالثة ١٤ سبتمبر ١٨٨١ - ٤ فبراير ١٨٨٢م انظر: تاريخ الوزرات المصريّة (١٨٧٨-١٩٥٣م)، م. س، ص٩٢ وما بعدها.

٢. تاريخ مصر الاجتماعي، م. س، ص٩٢، وجدير بالذكر أنّ عرابي رفض الخضوع للسلطان العثماني مقابل كرسي الخديوية، لأنّه يعادي التدخّل الأجنبي لا لمصلحة السلطان وإنّما لمصلحة مصر، وكان عرابي لا يريد إلّا تحرير بلاده وليس له طمع أصلاً في الاستئثار بالمنافع الشخصيّة. لمزيد من التفاصيل انظر: السعيد، رفعت، الأساس الاجتماعي للثورة العرابية، ص١٣٢ وما بعدها.

٣. عوض، لويس، تاريخ الفكر المصري الحديث من عصر اسماعيل إلى ثورة ١٩١٩، ج٢، ص١٨٧.

الدولتان مذكرة مشتركة في ٧ يناير ١٨٨٢م توحي كلماتها بالاستياء من قيام نظام برلماني في مصر، وتذكر صراحة أنّ هذه الأحداث توجب التدخّل لحماية عرش الخديوي[١].

وقد قوبلت هذه المذكرة بثورة عارمة أدّت إلى تكاتف الجيش والوطنيّين ومجلس النواب ضدّ إنجلترا وفرنسا، ومع أنّ الحكومة رفضت المذكرة، فإن الخديوي قبلها بالشكر والعرفان ممّا كان له أبعد الأثر في تطوّر الحوادث، فقد نجحت إنجلترا وفرنسا بذلك في زيادة الهوة والانقسام بين العرابيّين والخديوي[٢]، ولم يكتفيا بذلك، إذ طلب قنصلاَ الدولتين من شريف باشا بإيعاز من الرقيبين الأوروبيّين ألاّ يخوّل مجلس النواب حقّ تقرير الميزانيّة، وقدّما في ٢٦ يناير ١٨٨٢م مذكرة بهذا المعنى[٣].

وقد أحرج ذلك شريف باشا، وعرض على النواب تأجيل النظر في الميزانيّة، غير أنّ النواب تمسّكوا بحقّ المجلس في إقرار الميزانيّة باعتبار أنّ ذلك حقًا من حقوق الأمّة الممثّلة في المجلس النيابي، وأمام إصرار الطرفين على موقفهما بالنسبة لمناقشة الميزانيّة استقال شريف باشا، وتألّفت وزارة البارودي في ٤ فبراير ١٨٨٢م، واعتبرت وزارة العرابيّين، حيث عيّن عرابي ناظرًا للجهاديّة والبحريّة في الوزارة الجديدة التي وضعت برنامجًا شاملاً للإصلاح، وبادرت الوزارة بإعلان الدستور في ٧ فبراير سنة ١٨٨٢م وإقرار حقّ مجلس النواب في مناقشة الميزانيّة، وهنا احتجّ الرقيبان الإنجليزي والفرنسي وطالبَا قنصليهما بالتصرّف[٤].

---

١. محاضرات في معالم تاريخ مصر الحديث والمعاصر، م. س، ص١١١-١١٢. ولمـزيد من التفاصيل عن نص المذكرة المشتركة ومعاني فقراتها انظر: شكري، محمّد فؤاد، مصر والسودان تاريخ وحدة وادى النيل السياسيّة في القرن التاسع عشر (١٨٢٠-١٨٩٩م)، ص١٩٥ وما بعدها.

٢. وقائع الثورة العرابية دراسات وثائقية، م. س، ص٨٥.

٣. الثورة العرابية والاحتلال الإنجليزي، م. س، ص١٨٢؛ الصفوة العسكرية والبناء السياسي في مصر، م. س، ص٢٢٣؛ حافظ، صبري، في منفى العرابيين، ص١٥.

٤. محاضرات في معالم تاريخ مصر الحديث والمعاصر، م. س، ص١١٢-١١٣؛ تاريخ مصر الحديث (١٥١٧-١٩١٤م)، م. س، ص٢٠٣، ولمزيد من التفاصيل عن نظارة محمود سامي البارودي ٤ فبراير – ٢٦ مايو ١٨٨٢م. انظر: تاريخ الوزرات المصريّة (١٨٧٨-١٩٥٣م)، م. س، ص٩٧ وما بعدها؛ مرسي، كامل، أسرار مجلس الوزراء، ص٥٨ وما بعدها.

مؤامرات الثورة المضادة

وكانت الصعاب تكتنف الثورة من كل جانب، بحيث عرقلت تحقيق أهدافها الإصلاحيّة، وحوّلت جهودها إلى مكافحة الأعداء الداخليين والخارجيين، فلكي يثبت الثوار الوضع الجديد كان لزامًا عليهم أن يطهّروا الجيش من أعداء الثورة، وأن يحاولوا القضاء على المحسوبيّة في صفوفه لمصلحة الأتراك والشراكسة، ولهذا أحالوا منه قرابة ثلاثمئة ضابط إلى الاستيداع، وتآمر هؤلاء الأعداء والشراكسة الذين كان يتزعّمهم عثمان رفقي مع القوى المعادية للثورة لتدبير انقلاب يهدف إلى مقتل عرابي وقادة الجيش من الوطنيّين وزعماء الحركة الوطنيّة، غير أنّ هذه المؤامرة اكتشفها الثوار، وأجرى التحقيق مع المتآمرين، وحكموا على أربعين منهم، وعلى رأسهم عثمان رفقي في ٣٠ أبريل ١٨٨٢م بالنفي المؤبّد إلى أقاصي السودان، مع تجريدهم من الرتب العسكريّة والامتيازات والنياشين[١]، ورفض الخديوي توفيق التصديق على الحكم بناء على نصيحة القنصلين الإنجليزي والفرنسي حتى لا تزداد قوّة العرابيّين، فأهاج ذلك العرابيين ومن ثمّ تمّ التوصّل إلى حلّ وسط، حيث وافق الخديوي على نفي المتآمرين من خارج مصر دون تحديد الجهة، وعدم تجريدهم من الرتب والنياشين (٩ مايو ١٨٨٢)[٢].

على أنّ هذا التعديل لم يحسم الخلاف بين الخديوي والوزراء، ممّا أدّى إلى قيام نزاع بين الخديوي وبين العرابيّين. حاول الأخيرون خلاله عزل توفيق والتخلص من أسرة محمّد علي وإعلان الجمهورية، ولكنهم لم يجدوا في ذلك تأييدًا من سلطان باشا رئيس مجلس شورى النواب وباقي أعضاء المجلس الذين ينتمون إلى طبقة كبار الملاك، والذين انحازوا في هذا الموقف العصيب إلى جانب الخديوي، وصاروا يعملون لإسقاط

---

١. لمـزيد من التفاصيل انظر: الثورة العرابية والاحتلال الإنجليزي، م. س، ص٢٣٨ وما بعدها؛ الثورة العرابية، م. س، ص٨٧-٨٨؛ تطوّر مصر الحديثة فصول من التاريخ السياسي والاجتماعي، م. س، ص١٦٧-١٦٨؛ كول، جوان، الأصول الاجتماعيّة والثقافيّة لحركة عرابي في مصر الاستعمار والثورة في الشرق الأوسط، ص٣٣٠.

٢. محاضرات في معالم تاريخ مصر الحديث والمعاصر، م. س، ص١١٣، تاريخ مصر الحديث (١٥١٧-١٩١٤م)، م. س، ص٢٠٤.

وزارة البارودي، وهكذا تآمر الخديوي والجراكسة وكبار الملاك الزراعيّين على الثورة في الداخل، بينما صارت فرنسا وإنجلترا تعملان ضدها من الخارج[١] وبعثتا بأسطولهما إلى ميناء الإسكندريّة في ٢٠ مايو ١٨٨٢م استعدادًا للتدخّل المسلّح، وقابل الشعب المصري وصولهما بالاستياء العام[٢] وفي ٢٥ مايو ١٨٨٢م قدّمت إنجلترا وفرنسا مذكرة مشتركة إلى البارودي بصفته رئيسًا لمجلس النظار وقد تضمّنت المطالب الآتية:

١- رحيل عرابي مؤقّتًا عن مصر، مع احتفاظه برتبته ومرتبه.

٢- رحيل علي فهمي وعبد العال حلمي إلى داخل البلاد، بشروط مماثلة.

٣- استقالة النظارة[٣].

وكان من الطبيعي أن ترفض وزارة البارودي الاستقالة، بل إنّ هذا الطلب زاد من تماسك العرابيّين، حيث أقسم الجميع (البارودي وكبار الضباط) يمين الدفاع عن البلاد والولاء للثورة، وقام الشيخ محمّد عبده بمهمّة تحليف الضباط اليمين[٤].

ورفضت الأمّة المصريّة هذه المذكرة، وأرسلت (التلغرافات) لتأييد الوزارة الوطنيّة، ومع ذلك فقد وافق عليها الخديوي، وطلب من النظّار قبولها، ولكنهم اعترضوا على ذلك وقدّم محمود سامي البارودي استقالته في ٢٦ مايو ١٨٨٢م احتجاجًا على التدخّل

---

١. حراز، السيِّد رجب، المدخل إلى تاريخ مصر الحديث من الفتح العثماني إلى الاحتلال البريطاني (١٥١٧-١٨٨٢م)، ص٣٩٣، ولمـزيد من التفاصيل انظر: الثورة العرابية، م. س، ص٩٢-٩٣، تاريخ الوزرات المصريّة (١٨٧٨-١٩٥٣م)، م. س، ص١٠٠-١٠١.

٢. عبده، الإمام محمّد، مذكرات الإمام محمد عبده، ص١٨٢؛ الثورة العرابية، م. س، ص١١٤؛ ولمزيد من التفاصيل انظر: أحمد عبد الرحيم مصطفى، ص٩٣-٩٤. مصر والمسألة المصريّة من ١٨٧٦ إلى ١٨٨٢م

٣. مصر والمسألة المصريّة، م. س، ص٢١٤، ولمـزيد من التفاصيل انظر: الثورة العرابية والاحتلال الإنجليزي، م. س، ص٢٥٠.

٤. محاضرات في معالم تاريخ مصر الحديث والمعاصر، م. س، ص١١٤، ولمـزيد من التفاصيل انظر: التدخّل الأجنبي والثورة الوطنيّة (١٨٧٩-١٨٨٢م)، م. س، ص٣٣٤؛ دياب، محمّد حافظ، انتفاضات أم ثورات في تاريخ مصر الحديث، ص٩٣.

الأجنبي وقبول الخديوي له، فقبلها الخديوي بناء على نصيحة إنجلترا وفرنسا[١]، وبدأت محاولات لإبعاد عرابي أو رشوته، لكنها لم تجدِ شيئًا أمام صلابة الزعيم الوطني، الذي ازداد تمسّك الشعب به[٢]، وأمام ضغط كافة طبقات الأمّة اضطرّ الخديوي توفيق، وهو صاغر، إلى إعادة عرابي ناظرًا للجهادية والبحريّة في ٢٨ مايو سنة ١٨٨٢، قائلاً إنّه إنما يعيده إليها إزاء الرغبة العامة للشعب[٣]. وعودة عرابي إلى منصبه كانت بمثابة الرد العملي على سياسة الدولتين (إنجلترا وفرنسا) إزاء مصر، وهكذا فشلت مذكرة ٢٥ يناير فشلاً ذريعًا، بالرغم من لهجتها الصارمة، في حمل المصريّين على الإذعان[٤]، ولم يبق أمام إنجلترا وفرنسا سوى التدخّل العسكري.

الجيش المصري يقاوم الاحتلال الإنجليزي

وقفت السياسة الإنجليزيّة من الثورة موقف المعارضة، وبذلت قصارى جهدها من أجل تحطيمها والقضاء عليها، سواء أكان بالرغبة في نفي قادتها أو حلّ مجلس نوابها أو تسريح جيشها، ولكنها فشلت أمام تصميم قوى الثورة التي تمكّنت من فرض نفسها، وأخيرًا وجدت إنجلترا أنّه لا بدّ من التدخّل الحربي واستعمال القوّة لتجبر الثورة على الاستسلام[٥]، ولكي تثبت إنجلترا عجز عرابي عن حفظ الأمن، ولتتيح لنفسها فرصة التدخّل؛ دبّرت مذبحة الإسكندريّة في ١١ يونية عام ١٨٨٢م[٦] والتي راح ضحيّتها كثير

---

١. وقائع الثورة العرابية دراسات وثائقية، م. س، ص٨٩.

٢. تطوّر مصر الحديثة فصول من التاريخ السياسي والاجتماعي، م. س، ص١٦٨.

٣. أحمد عبد الرحيم مصطفى، مصر والمسألة المصريّة من ١٨٧٦ إلى ١٨٨٢م، ص٩٥، ولمزيد من التفاصيل انظر: الثورة العرابية والاحتلال الإنجليزي، م. س، ص٢٥٩-٢٦٠.

٤. مصطفى، أحمد عبد الرحيم، مصر والمسألة المصريّة، ص٢١٦.

٥. القوى الاجتماعيّة في الثورة العرابية، م. س، ص٢٤٤.

٦. الجيش المصري في القرن التاسع عشر، م. س، ص٤٣٧. ولمزيد من التفاصيل انظر: تاريخ الأستاذ الإمام الشيخ محمّد عبده، م. س، ج١، ص٢٤٦ وما بعدها؛ الثورة العرابية والاحتلال الإنجليزي، م. س، ص٢٦٦ وما بعدها؛ وقائع الثورة العرابية دراسات وثائقية، م. س، ص٩١ وما بعدها؛ لطيفة محمّد سالم، التدخّل الأجنبي والثورة الوطنيّة (١٨٧٩-١٨٨٢م)، ص٢٢ وما بعدها.

من الأهالي والأجانب[١]، ولقد كان هذا الحادث هو الذي عجّل بتدخّل بريطانيا المنفرد.

ضرب الإسكندريّة

وكان الإنجليز عقب مذبحة الإسكندريّة يبحثون عن وسيلة للاحتلال، وقد وجدوها أخيراً كما يجد الذئب الوسيلة لافتراس الحمل، فقد وجد الأميرال سيمور قائد الأسطول البريطاني من الترميمات التي كانت تقوم بها القوات المصريّة في حصون الإسكندريّة وسيلة لتحقيق غرضه، فطالب بالكفّ عن أعمال التحصين الجارية في الحصون، ولم يكتف بذلك، بل طلب أن تسلّم له الحصون التي يزعم أنها تهدّد الأسطول البريطاني[٢]، وصمّم قادة الثورة على رفض الإنذار والدفاع عن البلاد، ورفض مجلس الوزراء[٣] هذا الإنذار وقرّر المقاومة وأرسل بالاحتجاج التالي «لم تعمل مصر شيئًا يقضي بإرسال هذه الأساطيل المتجمعة، ولم تعمل السلطة المدنيّة ولا السلطة العسكريّة أي عمل يسوّغ مطالب الأميرال إلّا بعض إصلاحات اضطراريّة في أبنية قديمة، والطوابي الآن على الحالة التي كانت عليها عند وصول الأساطيل، ونحن هنا في وطننا وبيتنا، فمن حقّنا، بل من الواجب علينا أن نتّخذ عدّتنا ضدّ كل عدوّ ومباغت يقوم على قطع أسباب الصلات السلميّة التي تقول الحكومة الإنجليزيّة إنها باقية بيننا، ومصر الحريصة على حقوقها الساهرة على تلك الحقوق وعلى شرفها لا تستطيع أن تسلّم أي مدفع، ولا أيّة طابية، دون أن تكرَه على ذلك بحكم السلاح، فهي لذلك تحتجّ على بلاغكهم الذي

---

١. اختلفت الروايات في تقدير عدد القتلى والجرحى من الجانبين لمزيد من التفاصيل انظر: فارمان، ألبرت، مصر وكيف غدر بها، ص٢٩٠؛ الثورة العرابية والاحتلال الإنجليزي، م. س، ص٢٦٩-٢٧٠؛ تاريخ الفكر المصري الحديث من عصر إسماعيل إلى ثورة ١٩١٩م، م. س، ص٢٢٦؛ سيد أحمد، نبيل عبد الحميد، الأجانب وأثرهم في المجتمع المصري من سنة ١٨٨٢ إلى سنة ١٩٢٢م، ج١ص٥٥.

٢. حسين، محمّد عبد الرحمن، نضال شعب مصر (١٧٩٨-١٩٥٦م)، سلسلة الثورة والحرّيّة، ص٥٩.

٣. جدير بالذكر أنّ الظروف التي كانت تمرّ بها البلاد أجبرت الخديوي توفيق بتكليف إسماعيل راغب بتأليف النظارة الجديدة ١٨ يونيو ١٨٨٢ - ٢١ أغسطس ١٨٨٢م بناء على نصيحة مشددة من الدول الأجنبيّة، وقد شغل عرابي ناظر الجهاديّة والبحرّيّة فيها، لمزيد من التفاصيل انظر: أسرار مجلس الوزراء، م. س، ص٦٣ وما بعدها.

وجّهتموه اليوم، وتوقع مسؤوليّات جميع النتائج المباشرة وغير المباشرة التي تنجم إمّا عن هجوم الأساطيل، أو عن إطلاق المدافع، على الأمّة التي تقذف في وسط السلام القنبلة الأولى على الإسكندريّة المدينة الهادئة، مخالفة بذلك لأحكام حقوق الإنسان ولقوانين الحرب»[١]. وفي الساعة السابعة صباح يوم الثلاثاء الموافق ١١ يولية سنة ١٨٨٢م أعطى الأميرال سيمور إشارة الضرب، وأخذ الأسطول البريطاني في إطلاق قذائفه على الإسكندريّة، ولم تجاوبها مدافع القلاع إلّا من بعد إطلاق مدافع الأسطول نحو ٢٠ طلقة، ثمّ استمرّ القتال بين الأساطيل الإنجليزيّة وقلاع الإسكندريّة بعد ذلك إلى منتصف النهار، ثمّ أخذت نيران الاستحكامات في التناقص حتى تمّ تدميرها قبل الغروب[٢].

وبدأت الحرب بين أكبر إمبراطوريّة في العالم حينذاك ومصر التي تخلّى عنها الجميع حينذاك، والتي لا تملك من السلاح إلّا أقلّه[٣]، ودارت معركة غير متكافئة، استبسل فيها المصريون استبسالاً عظيمًا، ويصف جون نينيه عميد الجالية السويسريّة في مصر سنة ١٨٨٢م حماسة المصريّين في الدفاع عن وطنهم، فيقول: «ومع ذلك فما كان أبدع هذا المنظر، منظر الرماة المصريّين الذين، كانو قائمين على مدافعهم وهي مكشوفة في العراء، وكأنّهم في استعراض حربيّ لا يرهبون الموت الذي يكتنفهم؛ إذ لم يكن لهم روادع واقية ولا متاريس، وكانت معظم الحصون بلا ساتر، ومع ذلك فهؤلاء الشجعان من أبناء النيل كنّا نلمحهم وسط الدخان الكثيف كأنّهم أرواح الأبطال الذين سقطوا في حومة الوغى ثم بُعثوا ليكافحوا العدو من جديد ويستهدفوا نيران مدافعه، وكان الأئمة يزورون الحصون ويشجعون المقاومة، وقام الجميع بواجبهم من جند ورجال ونساء وصغار وكبار، ولم يكن ثمّة أوسمة ولا مكافآت تستحثّ أولئك الفلّاحين على أداء واجبهم، بل إنّ عاطفة الوطنيّة والثورة على الفظائع التي استهدفوها كانت تستثير الحماسة في صدورهم، وهم

١. نقلًا عن: الثورة العرابية والاحتلال الإنجليزي، م. س، ص٣٠٧.

٢. المـهندس، محمود فهمي، البحر الزاخر في تاريخ العالم وأخبار الأوائل والآواخر، ص٢٢٩؛ الثورة العرابية والاحتلال الإنجليزي، م. س، ص٣١٥ وما بعدها؛ العقاد، عباس محمود، ضرب الإسكندريّة في ١١ يوليو، ص٥٥.

٣. تاريخ مصر الاجتماعي، م. س، ص٣٤٤.

أولئك الشجعان المجهولون الذين لم يفكّر أحد في آلامهم[١].

وفى هذه المحنة جاد كل فرد في الأمة المصريّة بما يملك لمؤازرة الثورة ومواصلة القتال، ويجدر بنا هنا أن نشير إلى ما قام به الأهالي من تضحية وجهاد، رغم أن الحرب كانت حرب مدافع وحصون وبوارج، وفي ذلك يقول الإمام محمّد عبده: «تحت مطر الكلل (القذائف المشتعلة) ونيران المدافع كان الرجال والنساء من أهالي الإسكندريّة هم الذين ينقلون الذخائر ويقدمونها إلى بعض بقايا الطوبجية الذين كانوا يضربونها، وكانوا يغنون يلعن الأميرال ومن أرسله»[٢]، وقال عرابي: «وفي أثناء القتال تطوّع كثير من الرجال والنساء في خدمة المجاهدين ومساعدتهم في تقديم الذخائر الحربيّة وإعطائهم الماء وحمل الجرحى وتضميد جروحهم ونقلهم إلى المستشفيات»[٣].

وقال محمود فهمي المهندس: «ورأيت في ذلك الوقت بعيني ما حصل من غيرة الأهالي بجهة رأس التين وأم كبيبة وطوابي باب العرب وهمّتهم في مساعدة عساكر الطوبجيّة، من جلبهم المهمات والذخائر وخراطيش البارود والمقذوفات هم ونساؤهم وأولادهم وبناتهم، والبعض من الأهالي صار يعمر المدافع ويضربها على الأسطول»[٤]، وإن دلّ هذا على شيء فإنّما يدلّ على التعاون الوثيق بين الجيش والشعب وتآزرهما ضدّ الإنجليز، والحقيقة أنّ الشعب المصري بدأ فور ضرب الإسكندريّة في التطوّع للدفاع عن البلاد طوعًا واختيارًا[٥]، وحدثت حركة تطوّع واسعة من قِبل الفلّاحين للانضمام إلى

---

١. نقلًا عن: الثورة العرابية والاحتلال الإنجليزي، م. س، ص٣١٨-٣١٩؛ أبو غازي، عماد، ملحمة الصمود المصري في مواجهة جيش بريطانيا العظمى، ص٢٨.

٢. عبده، محمّد، الأعمال الكاملة للإمام الشيخ محمّد عبده، ص٤٧٨.

٣. مذكرات الزعيم أحمد عرابي كشف الستار عن سر الأسرار في النهضة المصريّة المشهورة بالثورة العرابية، م. س، ص٥٧٤.

٤. البحر الزاخر في تاريخ العالم وأخبار الأوائل والأواخر، م. س، ص٢٣٠-٢٣١.

٥. طه، سمير محمّد، المعارك العسكرية للعرابيين، ص٣٢٠-٣٢١.

صفوف الجيش في تلك الفترة للدفاع عن الوطن[١]، وهكذا وقف المصريّون وإن حاقت بهم الهزيمة موقف الدفاع والكرامة، وبلغ عدد الضحايا بين المصريّين في الإسكندريّة نحو ألفين غير مَن جُرحوا، أمّا الإنجليز فلم يزد قتلاهم عن خمسة وجرحاهم عن تسعة عشر[٢].

موقف الخديوي توفيق من الاحتلال

ومنذ ١١ يوليو ١٨٨٢م كانت هناك لغتان في مصر فالخديوي ورجاله يتكلّمون لغة التسليم للإنجليز حتى قبل بدء القتال، وعرابي ورجاله يتكلّمون لغة الجهاد حتى النهاية، ووصل الأمر إلى أنّ الخديوي توفيق كان في قصره لا يُخفي ابتهاجه بضرب الإسكندريّة ولا يخفى شماتته في هزيمة الجيش المصري[٣]، لقد أصبح حلمه بالتخلّص من عرابي ومن الحركة الوطنيّة «قاب قوسين أو أدنى»، ولا يهمّه إذا تمّ ذلك بقوة البوارج الإنجليزيّة أو إن ضاعت مصر كلّها واستقلالها من أجل الحفاظ على كرسي عرشه[٤]، وأصبح توفيق قلبًا وقالبًا مع الإنجليز لدرجة أنه منع الخبز عن القوات المصريّة وأمر بإرساله للقوات البريطانية[٥]، وكان الخديوي توفيق متّفقًا مع الإنجليز على التدخّل، حتى أنّه طلب إليهم في يوم ٧ يوليو ١٨٨٢م، أي قبل أربعة أيام من ضرب الإسكندريّة، إنزال الجنود البريطانيين إلى البر فورًا عقب الضرب[٦]. ولم يقم توفيق بأيّ عمل يعارض به التدخّل الأجنبي، وفي ١٩ يوليو ١٨٨٢م

---

١. علوان، نيفين، التجنيد العسكري وأثره على المجتمع الريفي في مصر (١٨٢٠-١٨٨٢م)، ص٦٥؛ عبد الحكيم، طاهر، الشخصية الوطنيّة المصريّة قراءة جديدة لتاريخ مصر، ص١٦٤.

٢. الخفيف، محمود، أحمد عرابي الزعيم المفترى عليه، ص٣٥٨-٣٥٩.

٣. تاريخ الفكر المصري الحديث من عصر إسماعيل إلى ثورة ١٩١٩، م. س، ص٢٤٣؛ صبيح، محمّد، كفاح شعب مصر في القرنين التاسع عشر والعشرين، ص٢٨٠.

٤. ملحمة الصمود المصري في مواجهة جيش بريطانيا العظمى، م. س، ص٣٤.

٥. التدخل الأجنبي والثورة الوطنيّة، م. س، ص٣٤٣-٣٤٤.

٦. لورد كرومر، الثور العرابية، ص١٩٦؛ الجيش المصري في السياسة (١٨٨٢-١٩٣٦م)، م. س، ص٣٣-٣٤.

راح يشجّع استعجال نزول القوات البريطانيّة إلى الأرض المصريّة في أسرع وقت[١]، وكلّف الإنجليز بالمحافظة على النظام بالإسكندريّة[٢]. وكتب الخديوي إلى عرابي يوم ١٧ يوليو ١٨٨٢م، وهو في كفر الدوار مع جنوده حيث قاموا بعمل استحكامات منيعة لصدّ القوات الإنجليزيّة ومنعها من التوغّل داخل البلاد، قائلاً إنّه ليس هناك أدنى خصومة ولا عداوة مع الإنجليز، ويطلب منه أن يكفّ عن التجهيزات الحربيّة، ويأمره بالحضور إلى سراي رأس التين[٣]، غير أنّ عرابي رفض طلب الخديوي واستمرّ في استعدادته، واتّهم الخديوي بالخيانة، وأنه سبب ما نزل بمصر من مصائب، ودعا عرابي إلى عقد جمعيّة عموميّة من الذوات والأعيان والعلماء والموظّفين وممثّلين عن كافة الطوائف ليعرض عليهم الموقف وما يجب عمله ردًّا على موقف الخديوي المؤيّد للإنجليز، وعقدت الجمعيّة العموميّة اجتماعها في مساء يوم الاثنين ١٧ يوليو سنة ١٨٨٢م وقرّرت بالإجماع الاستمرار في قتال الإنجليز[٤]، وقد رفض الخديوي قرارات الجمعيّة العموميّة، وأصدر أمرًا في ٢٠ يولية سنة ١٨٨٢م بعزل عرابي من منصبه بدعوى أنه لم يتوقّف عن التحصينات والاستعدادات الحربيّة، واجتمعت الجمعيّة العموميّة مرة أخرى في ٢٢ يوليو سنة ١٨٨٢ وقررت بقاء عرابي بمنصبه ليقوم بالدفاع عن البلاد ضدّ العدو[٥].

وتُليت فتوى شرعيّة أثناء الاجتماع من الشيخ عليش والشيخ حسن العدوي والشيخ محمّد أبو العلا الخلفاوي «بمروق توفيق عن الدين كمروق السهم من الرَّمية، لخيانته دينه ووطنه»[٦]، وقد أدّت هذه الفتوى إلى تماسك الأهالي والرأي العامّ خلف عرابي في هذه اللحظة العصيبة[٧].

---

١. مصطفى، أحمد عبد الرحيم، مصر والمسألة المصريّة من ١٨٧٦ إلى ١٨٨٢م، ص٢٧٨.

٢. لمزيد من التفاصيل انظر: نقاش، سليم خليل، مصر للمصريين، ج٥، ص١٢٦.

٣. م. ن، ج٥، ص١٢٧، كفاح شعب مصر في القرنين التاسع عشر والعشرين، م. س، ص٢٨٧.

٤. وقائع الثورة العرابية دراسات وثائقية، م. س، ص١٠٤-١٠٥، ولمـزيد من التفاصيل انظر: الثورة العرابية والاحتلال الإنجليزي، م. س، ص٣٤٢ وما بعدها؛ النجار، حسين فوزي؛ عرابي، أحمد، مصر للمصريين، ص١٧٢-١٧٣.

٥. الثورة العرابية والاحتلال الإنجليزي، م. س، ص٣٤٩ وما بعدها.

٦. مذكّراتي في نصف قرن، م. س، ج١، ص١٧٨.

٧. النمنم، حلمي، الأزهر الشيخ والمشيخة، ص١٦٤.

كما اتّخذت الجمعيّة العموميّة قرارًا بعدم إطاعة أي أمر من أوامر الخديوي ووزرائه المقيمين معه في الإسكندريّة، «حيث إن الخديوي خرج عن الشرع الشريف والقانون المنيف»[١] . وعلى الرغم من عدم صدور فتوى شرعية بإسقاط توفيق من على عرش الخديوية، إلّا أنّه اعتبر شبه معزول أمام قوى الشعب[٢] ، وهكذا خان الخديوي توفيق بلده وجيشه وقاوم ثورة الشعب بقيادة عرابي، واستعان بالجيش الإنجليزي ليحمي عرشه، فكان أن نال غضب الشعب[٣] ، أمّا عرابي فنال ثقة الأمّة وتأييدها لدوره المهم في الدفاع عن البلاد ضدّ عدوان الإنجليز ومناصريهم، وقد أطلق عليه في ذلك الوقت «حامي حمى الديار المصريّة»[٤] ، وكان الناس يتّجهون بوجوههم إلى السماء ويرفعون أكفّهم كلما ذُكر اسم عرابي قائلين: «الله ينصرك يا عرابي»[٥] .

معارك كفر الدوار

بعد سقوط الإسكندريّة، تحصّن عرابي بجيشه في كفر الدوار استعدادًا لجولة ثانية مع الغزاة، وهنا استطاع الجيش المصري أن يثبت أمام الإنجليز بنجاح نحو خمسة أسابيع يعيد كل الهجمات، بل يدفع العدو بهجمات مضادة إلى ما يقرب من أبواب الإسكندريّة، ولو لم يكن هناك باب آخر لدخول مصر غير كفر الدوار لظفرت الحركة القوميّة بالنجاح وما نجح الإنجليز في احتلالها[٦] .

وكانت أولى المعارك التي دارت بين الجيش المصري والإنجليز هى معركة الرمل في

---

١. الثورة العرابية والاحتلال الإنجليزي، م. س، ص٣٥٢.

٢. سالم، لطيفة محمّد، التيار الديني في الثورة العرابية (١٨٨١-١٨٨٢م)، ص٥٦.

٣. الطرابيلي، عباس، أسرة محمّد علي ايجابيّات وسلبيّات، ص٤.

٤. الثورة العرابية والاحتلال الإنجليزي، م. س، ص٣٥٦؛ محاضرات في معالم تاريخ مصر الحديث والمعاصر، م. س، ص١١٦.

٥. أحمد عرابي الزعيم المفترى عليه، م. س، ص٣٨٨.

٦. م. ن، ص٣٩٨؛ مصطفى، أحمد عبد الرحيم، كفاحنا ضد الغزاة في العصر الحديث، ص٣٢٣-٣٢٤؛ سركيس، عادل أحمد، الخيانة هزمت عرابي، ص٧٣.

٥ أغسطس ١٨٨٢م، ودام القتال فيها ثلاث ساعات ونصف، وحمل المصريّون على الإنجليز حملة قويّة، واضطروهم إلى التقهقر؛ إذ ولّوا الأدبار منهزمين[١].

معركة عزبة خورشيد (٧ أغسطس ١٨٨٢)

وهاجم الإنجليز مقدّمة الجيش المصري في كفر الدوّار على ثلاث جبهات، فلمّا التقوا بالمصريّين، صمد هؤلاء لقتالهم ودافعوا في هذه المعركة دفاعًا مجيدًا، ودام القتال في هذه المعركة نحو أربع ساعات، انتهت بتقهقر الإنجليز منهزمين، وتكبّدوا خسائر في الأرواح أكبر من خسائر الجيش المصري[٢].

معركة ١٩ أغسطس سنة ١٨٨٢م

هجم الإنجليز على كفر الدوار يوم السبت ١٩ أغسطس وزحفوا بقوّات كبيرة، جاء جانب منها بالقطارات المسلحة من ناحية القبارى، ودارت معركة شديدة بينهم وبين المصريّين، فصدّهم المصريّون عن التقدّم بعد أن كبّدوهم خسائر كبيرة، ودام القتال ثلاث ساعات حتى غروب الشمس، وكان يتولّى قيادة الجيش المصري في هذه المعركة طلبة باشا عصمت قومندان فرقة كفر الدوار ومعه رضا باشا ومصطفى بك عبد الرحيم وعيد بك محمّد وأحمد بك عبد الغفار والقائم مقام أحمد بك عفت والقائم مقام سليمان سامي داود ن وبدوى بك حكمدار المدفعيّة، وانتهت المعركة بارتداد الإنجليز إلى الإسكندريّة[٣].

وتعتبر هذه المعركة أشدّ معارك جبهة كفر الدوار، كما كانت انتصارًا للقوّات المصريّة

---

١. لمزيد من التفاصيل انظر: الثورة العرابية والاحتلال الإنجليزي، م. س، ص٣٦٤؛ أحمد عرابي الزعيم المفترى عليه، م. س، ص٤٢٠، تاريخ الفكر المصري الحديث من عصر إسماعيل إلى ثورة ١٩١٩، م. س، ج٢، ص٢٦٣.

٢. لمزيد من التفاصيل انظر: الزعيم أحمد عرابي، م. س، ص١٦٨-١٦٩؛ عبد المنعم، محمّد فيصل، معارك الثورة العرابية، ص١٤٤ وما بعدها؛ الخيانة هزمت عرابي، م. س، ص٧٤، ملحمة الصمود المصري في مواجهة جيش بريطانيا العظمى، م. س، ص٣٥.

٣. الزعيم أحمد عرابي، م. س، ص١٧٣-١٧٤؛ ملحمة الصمود المصري في مواجهة جيش بريطانيا العظمى، م. س، ص٣٥-٣٦؛ جرجس، لويس، يوميات من التاريخ المصري الحديث (١٧٧٥-١٩٥٢م)، ص٢٠٧؛ هريدي، صلاح أحمد، دراسات في تاريخ مصر الحديث والمعاصر (١٨٠٥-١٨٨٢م) ج٢، ص٤٥٥.

ضدّ الهجوم الشامل من القوات الإنجليزيّة، وقد عاود الإنجليز الهجوم على مقدّمة كفر الدوار يوم ٢٠ أغسطس واستمرّ ضرب المدفعيّة بين الطرفين لمدّة ساعتين انسحب بعدها العدو، وهذه المعركة تعتبر أيضًا من المعارك المهمّة التي أثبتت صمود الجيش المصري، وهاجمت القوّات الإنجليزيّة مدخل كفر الدوار في ٢١-٢٢ أغسطس التي دافع عنها المصريّون خير دفاع، واضطرّت القوّات الإنجليزيّة إلى الانسحاب[١].

واستمرّت معارك كفر الدوار حتى قرب نهاية الحرب، فهاجمت القوات الإنجليزيّة مدخل كفر الدوار في ٤ سبتمبر و٨ سبتمبر ١٨٨٢م ولكن القوات المصريّة استطاعت وقف الهجوم المتتالي للإنجليز[٢]، والواقع أن هذه الجبهة كانت محصّنة تمامًا وقد فشل الجيش الإنجليزي في اختراقها طوال خمسة أسابيع[٣]، وهكذا كانت وقائع كفر الدوار سجلاً مجيدًا في تاريخ صراع المصريين ضد الغزاه والمستعمرين وواحدة من الصفحات المشرّفة في تاريخ العسكرية المصريّة.

أمّة عظيمة في ساعة المحن

وجدير بالذكر أنّ المصريّين وقفوا بجوار جيشهم فتطوّع الكثيرون في الجيش جنودًا يجودون بأرواحهم في سبيل الدفاع عن الوطن، وبدأت حركة التطوّع في القاهرة والأقاليم عقب ضرب الإسكندريّة، والحق أن المصريّين أثبتوا أنهم أمّة عظيمة في ساعة المِحَن، فقد تطوّعوا لإمداد الجيش بكل ما يستطيعون من نفس ومال وغلال وعتاد ومؤونة وخيول

---

١. لمزيد من التفاصيل انظر: مذكّرات الزعيم أحمد عرابي كشف الستار عن سر الأسرار في النهضة المصريّة المشهورة بالثورة العرابية، م. س، ج٢، ص٦٤٢-٦٤٣؛ المعارك العسكرية للعرابيين، م. س، ص٣٢٦-٣٢٧؛ ملحمة الصمود المصري في مواجهة جيش بريطانيا العظمى، م. س، ص٣٦.

٢. المعارك العسكرية للعرابيين، م. س، ص٣٢٦-٣٢٧.

٣.عيسى، صلاح، الثورة العرابية، ص٤١٩.

ومواشٍ، وجادوا بكلّ ما في مقدورهم بحق أنّ هذا واجب تفرضه عليهم الوطنيّة والدين[١]. وعن كرم المصريّين وسخائهم يذكر أحمد عرابي في مذكّراته: «قامت هذه الحرب الشعواء وليس في خزائن الحكومة درهم ولا دينار؛ لأن المراقب الإنكليزي المستر (كولفن) أخذ الأموال الموجودة في خزينة المالية وأنزلها في الدوننمة (سفن الأسطول) الإنكليزية قبل إعلان الحرب بأيام وكذلك الأموال الموجودة في صندوق الخزينة العمومي حملها أعضاء قومسيون الصندوق إلى المراكب الحربية حيث أمّنوا عليها»[٢] ويذكر محمود فهمى المهندس: «وتباهت الأمّة المصريّة وتفاخرت سكّان المدن والأقاليم في جميع أنحاء القطر المصري في جمع الإعانات اللازمة للعساكر من نقود وغلال وملبوسات ومأكولات ولحوم وخضروات وتبون وخيول وبغال لجر المدافع والخيالة، وكذا الستات والهوانم والبرنسات، وصارت الإعانات ترِد يوميًا إلى ديوان الجهاديّة ومركز كفر الدوار، ومراكز جهاز إقامة العساكر حتى كانت المهمات الواردة من طرف أرباب الإعانات في مركز كفر الدوار تلالاً وآكامًا»[٣].

وعن دور المرأة المصريّة في الوقوف بجوار الجيش يذكر جون نينيه أنّ «سيِّدات الحريم وأميرات أسرة محمّد علي وأمّهات وأخوات الجنود يتنافسن بكل حمية في جميع الأعمال التي تمكّنهنّ من خدمة الجيش»[٤].

ويمكن القول إنّ الأمّة المصريّة أمدّت الجيش المصري بسخاء من مال وعتاد ورجال، وقلّ أن نجد في تاريخ الحروب حربًا كهذه الحرب التي لم يُنفَق فيها قرش واحد من

---

١. الثورة العرابية والاحتلال الإنجليزي، م. س، ص٣٦٩.

٢. م. ن، ج٢، ص٦٠٤.

٣. م. ن، ص٢٤٧.

٤. نينيه، جون، رسائل من مصر (١٨٧٩-١٨٨٢م)، ص٤٠١؛ ولمزيد من التفاصيل عن دور المرأة في الثورة العرابية انظر: الشرقاوي، سامية محمّد عبد محمّد عبد الرحمن، المرأة في مصر في القرن التاسع عشر ودورها في الحياة الاجتماعيّة والاقتصاديّة، ص٣٥٩ وما بعدها.

خزائن الدولة والتي قامت على ما بذل الشعب طائعًا من أقواته وأمواله ودماء رجاله[١]، وقد وقف الجيش المصري في خطوط دفاعه مستندًا على الأمّة المصريّة بكافة طوائفها والتي أثبتت بحقّ أنّها أمّة عظيمة في ساعة المحَن.

منشورات الخديوي إلى المصريين

أمّا الخديوي توفيق فأصدر منشورًا في ٧ أغسطس أثناء اشتعال القتال بين الجيش المصري وجيش الاحتلال يحذر فيه المصريّين من الانضمام لعرابي العاصي، ويتوعّد كل من ينحاز إليه بالعقاب[٢]، ثم أصدر منشورًا آخر بتاريخ ٢٢ أغسطس ١٨٨٢م يحذّر فيه الأمّة المصريّة من مناصرة عرابي العاصي ويدعوها لمناصرة الإنجليز ومساعدتهم؛ لأنهم ينوبون عنه في محاربة العصاة[٣].

ولم يكن هذا أوّل أمر يصدره توفيق إلى الجيش المصري وإلى موظّفي الدولة، بإطاعة أوامر قوات الاحتلال، ففي ١٤ أغسطس سنة ١٨٨٢م أصدر أمرًا بالترخيص للجيش البريطاني باحتلال القناة[٤].

ولمّا تأكّدت الجماهير من موقف الخديوي توفيق خرجت تهتف: «يا توفيق يا وش القملة... مين قالك تعمل دي العملة» وتواتر الدعاء عليه: «البغل في الإبريق يا رب خد توفيق»[٥].

ورغم هذه المنشورات، فإنّ التأييد الشعبي لعرابي وللثوار كان جارفًا، بل إنّ بعض

---

١. أحمد عرابي الزعيم المفترى عليه، م. س، ص٣٩٩.

٢. الرافعي، عبد الرحمن، الثورة العرابية والاحتلال الإنجليزي، مكتبة النهضة المصرية ١٩٤٩، ص٣٦٦.

٣. تاريخ الفكر المصري الحديث من عصر اسماعيل إلى ثورة ١٩١٩، م. س، ج٢، ص٢٦٤. ولمـزيد من التفاصيل انظر: مصر للمصريين، م. س، ج٥، ص٢١٤.

٤. تاريخ الفكر المصري الحديث من عصر اسماعيل إلى ثورة ١٩١٩، م. س، ج٢، ص٢٦٤.

٥. نقلاً عن: انتفاضات أم ثورات في تاريخ مصر الحديث، م. س، ص٩٨.

سيِّدات الأسرة العلويّة الحاكمة تضامنّ مع الثورة وتبرّعن بحليّهنّ وأموالهنّ وجياد مزارعهن لصالح المجهود الحربي[١].

معارك الجيش في الميدان الشرقي

قبل أن نتكلّم عن معارك الجيش في الميدان الشرقي يجدر بنا أن نتعرّف أوّلاً على قوّة الجيش المصري، فقد كان الجيش النظامي المصري لا يزيد على ١٩,٠٠٠ مقاتل موزّعين بين مختلف المواقع، وقد انضمّ إلى هذا الجيش عدد من المتطوّعين والعربان، ولكن الوقت لم يكن يسمح بتدريبهم على الحركات النظاميّة، فلم يكن منهم فائدة[٢] ـ أمّا الجيش الإنجليزي فقد بلغ عدده قبل معركة التلّ الكبير ٥٠,٦٠٠ مقاتل، ويتّضح من ذلك أن عدد الجيش الإنجليزى كان يزيد عن ضعف عدد الجيش المصري، وهذا وحده كان نذيرًا بسوء العاقبة[٣].

وجدير بالذكر أنّ اهتمام الإنجليز بالميدان الشرقي بدأ منذ بداية الحرب، وذلك لإمكان استخدام قوّتهم البحرّيّة عن طريق القناة، ولأنّ استحكامات كفر الدوار أثبتت صعوبة اقتحام هذه الخطوط وكفاءة القوات الموجودة بها[٤].

وقد بدأت نذر الهجوم في الميدان الشرقي في يوم ٢٦ يولو ١٨٨٢م عندما اقتحمت إحدى السفن الإنجليزيّة القناه عند بورسعيد، وألقت مراسيها في بحيرة التمساح يوم ٢٧ يوليو ١٨٨٢م، واحتل الإنجليز السويس في ٢ أغسطس ١٨٨٢م دون قتال، وفي يوم ٢٠ أغسطس احتل الإنجليز بورسعيد دون مقاومة أيضًا، كما احتلّوا القنطرة والإسماعيليّة

---

١. ملحمة الصمود المصري في مواجهة جيش بريطانيا العظمى، م. س، ص٣٧.

٢. الرافعي، عبد الرحمن الرافعى، الثورة العرابية والاحتلال الإنجليزي، ص٣٦٧، ولمزيد من التفاصيل انظر: بركات، داود، الثورة العرابية بعد خمسين عامًا رؤية صحفية الأهرام (١٩٣١-١٩٣٢م)، ص٢٠٦.

٣. الرافعي، عبد الرحمن الرافعى. الثورة العرابية والاحتلال الإنجليزي، مكتبة النهضة المصرية ١٩٤٩ص٣٦٦ وما بعدها.

٤. أحمد عرابي ودوره في الحياة السياسيّة المصريّة، م. س، ص٢٣٩.

والشلوفة. وبذلك جعل الإنجليز قناة السويس قاعدة حربيّة للزحف على مصر[١].

ولو ردم عرابي القناة لاستحال على الإنجليز أن يدخلو بأساطيلهم على الإسماعيليّة وأن ينزلوا جنودهم في السويس وبورسعيد كما فعلوا، وقد قال ولسلي قائد الحملة البريطانية ما نصّه: «لو أنّ عرابي قد أفلح في سدّ القناة كما أراد، لكنّا ما زلنا إلى الآن في البحار البعيدة نحاول محاصرة مصر! إنّ تأخّره أربعًا وعشرين ساعة قد أنقذنا!»[٢].

وقد كان أوّل التحام بين المصريّين والإنجليز في الميدان الشرقي - في نفيشة التي لم تكن محصّنة فسقطت في يد الأعداء في ٢٣ أغسطس ١٨٨٢م[٣].

وقام الجيش المصري بسد ترعة الإسماعيليّة في نقطة (المجفر) غرب مدينة الإسماعيليّة ليمنعوا ورود المياه العذبة إلى الجيش البريطاني، وهاجم الجنرال ولسلي (المجفر) يوم ٢٤ أغسطس واحتلّها بجنوده[٤] وتابع الإنجليز زحفهم فاستولوا على المسخوطة يوم ٢٥ أغسطس بعد معركة عنيفة دارت بينهم وبين الجيش المصري، وكان يقود الجيش المصري فيها الفريق راشد باشا حسني، وخلال القتال وقع المهندس محمود باشا فهمي رئيس أركان حرب الجيش المصري مع أكفأ ضباطه في الأسر؛ وذلك نتيجة لعدم اتخاذ احتياطات الحراسة اللازمة بالنسبة له، وكانت عملية أسره ضربة قاسية أصابت الجيش المصري معنويًّا في الميدان إصابة بالغة في وقت بالغ الحرج[٥].

---

١. لمـزيد من التفاصيل انظر: الرافعي، عبد الرحمن، الثورة العرابية والاحتلال الإنجليزي، ص٣٧٧ وما بعدها؛ المعارك العسكرية للعرابيين، م. س، ص٢٣٩ وما بعدها؛ رمضان، عبد العظيم، أسرار هوجة عرابي، ص١٧٠؛ لوتسكي، تاريخ الأقطار العربيّة الحديث، ص٢٧٢.

٢. نقلاً عن: كفاحنا ضدّ الغزاة في العصر الحديث، م. س، ص٣٢٩.

٣. تعتبر نفيشة أوّل محطة غربي الإسماعيلية حيث تبعد عنها نحو ٣كم، كما تتفرّع عنها ترعة الإسماعيلية إلى فرعين يتجه أحدهما إلى السويس ويمر الآخر في خط أنابيب إلى بورسعيد. لمزيد من التفاصيل انظر: معارك الثورة العرابية، م. س، ص١٥٤؛ أبو الفضل، محمّد عبد الفتاح، تأملات في ثورات مصر «الثورة العرابية»، ج٥، ص١٥٧.

٤. م. ن، ص١٥٧-١٥٨.

٥. لمزيد من التفاصيل انظر: الزعيم أحمد عرابي، م. س، ص١٧٩-١٨٠؛ معارك الثورة العرابية، م. س، ص١٥٥ وما بعدها؛ تأمّلات في ثورات مصر «الثورة العرابية»، م. س، ص١٥٨، ولمـزيد من التفاصيل عن واقعة أسر محمود فهمي المهندس انظر: البحر الزاخر في تاريخ العالم وأخبار الأوائل والآواخر، م. س، ص٢٥٦-٢٥٧.

واستولى الإنجليز على المحسمة يوم ٢٥ أغسطس، وهي محطّة تبعد عن نفيشة غربًا باثنين وعشرين كيلو مترًا، وصارت المسافة بينهم وبين التل الكبير مسافة لا تتجاوز أربعة وعشرين كيلومترًا، وكان الاستيلاء على المحسمة على جانب كبير من الخطر، لأنه الخطوة الأولى التي اتّخذها الإنجليز للوصول إلى معسكر الجيش المصري في التل الكبير، وبعد أن استتب الأمر للإنجليز في المحسمة وبفضل المعلومات التي وصلت إليهم من الخونة والجواسيس عن ضعف الدفاعات في القصاصين، أسرع الجنرال ولسلي بدفع لواء الفرسان تجاه بلدة القصاصين وتمكّن من احتلالها يوم ٢٦ أغسطس، وأصبحت القوات الإنجليزيّة على بعد خمسة عشر كيلومترًا من منطقة دفاعات المصريّين الرئيسيّة في التل الكبير[١].

انتقال عرابي إلى الميدان الشرقي

بعد أن تمّ أسر محمود فهمي باشا، وبعد احتلال المحسمة والقصاصين انتقل عرابي من كفر الدوار إلى التلّ الكبير، وعلى طول تلك المسافة كانت الجماهير تستقبله في كل محطة طالبة النصر وتردّد: «الله ينصرك يا عرابي»، يا مولانا يا عزيز أهلك عسكر الإنجليز، يا سيمور يا وش القملة! مين قالك تعمل دي العملة، يا محنّى ديل العصفورة وجيوشنا هي المنصورة[٢].

وكانت الثقة في النصر متناهية والعمل من أجله واضحًا، وتشاور عرابي وقادة الجيش فيما يجب عمله، فاتّفقوا على مهاجمة مواقع الإنجليز في القصاصين لاستردادها، وازداد نشاط الجواسيس البريطانيّين والخونة في توصيل أدق المعلومات عن المصريّين ومواقعهم للقوات البريطانية[٣].

---

١. الثورة العرابية والاحتلال الإنجليزي، م. س، ص٣٨٠، تأمّلات في ثورات مصر «الثورة العرابية»، م. س، ص١٥٩-١٦٠.

٢. نقلًا عن: الرافعي، عبد الرحمن، القوى الاجتماعيّة في الثورة العرابية، م. س، ص٢٤٧، وجدير بالذكر أن الأهالي أرسلوا إلى الجيش المصري بالتل الكبير كل ما يلزم الجيش من مواد الأغذية، بل إن الأهالي أكثروا من إرسال الفاكهة والحلوى على اختلاف أنواعها، فكانت تنقلها عربات السكة الحديدية. انظر: كفاحنا ضد الغزاة في العصر الحديث، م. س، ص٣٣٠.

٣. تأمّلات في ثورات مصر «الثورة العرابية»، م. س، ص١٦٠.

معركة القصاصين الأولى (٢٨ أغسطس ١٨٨٢م)

هاجم الجيش المصري مواقع الإنجليز في القصاصين بقيادة الفريق راشد باشا حسني، وكان هجومًا شديدًا، فاستولوا على المواقع الأمامية للإنجليز، ولكن الفرسان البريطانيّين ما لبثوا أن ضغطوا على القوّات المصريّة، فاضطرت للانسحاب منها إلى التل الكبير بعد أن كبّدت القوات البريطانيّة خسائر جسيمة، وكادت تجبرها على الانسحاب لولا تدخل لواء الفرسان البريطاني[١].

إعلان السلطان العثماني عصيان عرابي (٦ سبتمبر ١٨٨٢م)

بدل من أن تعاون دولة الخلافة (تركيا) مصر في محنتها العسكرية منذ بداية التهديد البريطانى بالأساطيل والجيوش وقف السلطان العثماني الضعيف والمتردّد والخاضع كليًا لمطالب الغرب لينفّذ ما يأمرون به في إحدى ولاياتها (مصر). فقد بادر السلطان تحت ضغط من بريطانيا بإعلان عصيان عرابي يوم ٦ سبتمر ١٨٨٢م[٢]، ولا شكّ في أنّ إعلان عصيان عرابي والحرب قائمة هو تدبير ينطوي على المكر والخبث، وقد وضعته إنجلترا لإضعاف قوة المقاومة في مصر وتمكين جيشها من احتلال البلاد[٣].

وقد ابتهج الخديوي توفيق بهذا المنشور، وعهد إلى سلطان باشا توزيع نسخ من جريدة (الجوائب) التي نشرته والاتّصال بضباط الجيش المصري لإطّلاعهم عليه، ووزع عليهم منشورات بهذا المعنى، وتنقّل سلطان باشا في البلاد لدعوة العمد والأعيان لمساعدة الإنجليز، وقد أحدثت هذه المنشورات تأثيرًا كبيرًا في حالة الجنود والضبّاط المعنوية فخارت قواهم ويئسوا من الفوز وضعفت حميّتهم الدينية؛ إذ اعتبروا أنفسهم «عصاة على السلطان مخالفين لكتاب الله وسنّة رسوله»[٤].

---

١. تأمّلات في ثورات مصر «الثورة العرابية»، م. س، ص١٦٠-١٦١؛ ولمـزيد من التفاصيل انظر: معارك الثورة العرابية، م. س، ص١٥٧ وما بعدها؛ المعارك العسكرية للعرابيين، م. س، ص٣٣٠-٣٣١.

٢. تأمّلات في ثورات مصر «الثورة العرابية»، م. س، ص١٦١.

٣. عبد الرحمن الرافعى، الثورة العرابية والاحتلال الإنجليزي، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٤٩، ص٣٨٥.

٤. الرافعي، عبد الرحمن، ص٣٨٥، وقائع الثورة العرابية دراسات وثائقية، م. س، ص١٠٩، ولمزيد من التفاصيل انظر: مذكرات الزعيم أحمد عرابي كشف الستار عن سر الأسرار في النهضة المصريّة المشهورة بالثورة العرابية، م. س، ص٦٨٤-٦٨٥.

وجدير بالذكر أن إنجلترا استطاعت بهذا المنشور تغيير ميزان المعركة ليس حربيًّا فقط، بل وسياسيًّا أيضًا، وأحمد عرابي على حدّ قول إحسان عبد القدوس هزم سياسيًّا قبل أن يهزم عسكريًّا وهو يقود الثورة لصدّ الغزو البريطاني[١].

معركة القصّاصين الثانية (٩ سبتمبر ١٨٨٢م)

تعدّ هذه المعركة أكبر معركة وقعت بين الجيش المصري والإنجليز، هجم فيها المصريّون بقيادة الفريق راشد باشا حسني على مواقع الإنجليز في القصّاصين يريدون استردادها للمرة الثانية، واحتدم القتال نحو ثلاث ساعات، ولكن المعركة انتهت بتراجع المصريّين بعد أن كادوا يوقعون بالجيش الإنجليزي، والسبب في ذلك يرجع إلى خيانة الأميرالاي علي بك يوسف خنفس الذي سلّم خطة الجيش المصري لولسلي، وخيانة شيخ العرب سعود الطحاوي ورجاله الذين ضلّلوا محمود سامي البارودي، فلم يصل إلى ميدان المعركة في الوقت المحدّد بفضل الأموال التي دفعها سلطان باشا بأوامر الخديوي لهم[٢].

وذكر أحمد عرابي في مذكّراته أن «راشد باشا حسني وعلي باشا فهمي ومن معهما من الجيش ثبتوا ثبات الأبطال حتى آخر النهار، وجرح راشد باشا حسني في قدمه برصاصة وعلي باشا فهمي برصاصة في ساقه»[٣].

ويقول جون نينيه عن هذه المعركة إنّ إصابة القائدين الباسلين «راشد باشا حسني وعلي باشا فهمي فيها كانت خسارة كبرى مُنِي بها الجيش المصري لا تقلّ في فداحتها عن أسر محمود باشا فهمي»[٤].

---

١. عبد القدوس، إحسان، البحث عن ثورة، ص٥٣.

٢. لمـزيد من التفاصيل انظر: مذكرات الزعيم أحمد عرابي كشف الستار عن سر الأسرار في النهضة المصريّة المشهورة بالثورة العرابية، م. س، ص٦٩٨-٦٩٩؛ الرافعي، عبد الرحمن، الثورة العرابية والاحتلال الإنجليزي، مكتبة النهضة المصرية ١٩٤٩، ص٣٨٦ وما بعدها؛ تأملات في ثورات مصر «الثورة العرابية»، م. س، ص١٦٢-١٦٣، ملحمة الصمود المصري في مواجهة جيش بريطانيا العظمى، م. س، ص٣٧.

٣. مذكرات الزعيم أحمد عرابي كشف الستار عن سر الأسرار في النهضة المصريّة المشهورة بالثورة العرابية، م. س، ص٦٩٩.

٤. نقلاً عن: الرافعي، عبد الرحمن، الثورة العرابية والاحتلال الإنجليزي، مكتبة النهضة المصرية ١٩٤٩، ص٣٨٧.

معركة التل الكبير (١٣ سبتمبر ١٨٨٢م)

بعد إصابة راشد باشا حسني وعلي باشا فهمي استدعى عرابي علي باشا الروبي من مريوط، وعهد إليه بالقيادة في معركة التل الكبير، ولم يكن على حدّ قول الرافعي على حظ من الكفاية الحربية، أضف إلى ذلك أنه حضر قبل المعركة بيوم واحد، وهو وقت لا يكفي للتعرّف على مواقع القتال في تلك الناحية، ووضع الخطط الصالحة للدفاع، وكان الجيش المصري بالتل الكبير لا يزيد على عشرة آلاف أو اثني عشر ألف جندي، والباقون كانوا من الجنود الذين لم يسبق لهم إطلاق بندقيّة واحدة، أضف إلى ذلك أن خيرة الجنود لم يكونوا بالتل الكبير، بل كانوا في كفر الدوار، بقيادة طلبة باشا عصمت أو في دمياط بقيادة عبد العال باشا حلمي، وهؤلاء لم يشتركوا في المعركة قط، بينما كان الجيش الإنجليزي بقيادة ولسلي يتكوّن من ثلاثة عشر ألف[١].

واستعان القائد البريطاني ولسلي بالخونة من المصريّين أعوان الخديوي، ومنهم القائد الخائن علي يوسف خنفس[٢] والأميرالاي عبد الرحمن بك حسن الذي كان معهودًا إليه حراسة مقدمة الجيش المصري والذي انسحب منها متعمّدًا ليلة الزحف، وكذلك تعمّد الأميرالاي على خنفس ترك قواته لمنطقة دفاعاتها في وسط الخط الدفاعي واستخدم بعض الأدلّاء لإرشاد قوات البريطانيّين لحظة تقدّمها من خلال دفاعات المصريّين في ظلمة الليل، كما استعان الإنجليز بالخونة من عرب الهنادي للعمل كأدلّاء للإنجليز في تقدّمهم الليلي، بالإضافة إلى كثير من الضباط المواليين للخديويي[٣].

فتح خنفس وأمثاله الطريق أمام الجيش البريطاني، فكانت معركة التل الكبير معركة حارب فيها ضدّ المصريين الجنيه الإنجليزي أكثر ممّا حارب فيها الجندي الإنجليزي، فقد أبلغ خنفس قيادته أن طلائعه الاستكشافيّة أثبتت أن الإنجليز لا ينوون الهجوم،

---

١. الرافعي، عبد الرحمن، الثورة العرابية والاحتلال الإنجليزي، مكتبة النهضة المصرية ١٩٤٩، ص٣٨٩-٣٩٠؛ أحمد عرابي الزعيم المفترى عليه، م. س، ص٤٧٢.

٢. علي يوسف الشهير بخنفس، زعم البعض أنه من صميم المصريين، والحق أنه من حثالة الأتراك وكان مع الأسف الشديد قائد قلب الجيش المصري، وهو الذي اشترى سلطان ذمته للإنجليز، فانسحب بفرقته فافسح الطريق لجيش ولسلي، انظر: كفاحنا ضد الغزاة في العصر الحديث، م. س، ص٣٣٣، جبريل، محمّد، مصر من يريدها بسوء؟، ص٩٨.

٣. تأمّلات في ثورات مصر «الثورة العرابية»، م. س، ص١٦٦.

وبعد ذلك بقليل وعند فجر يوم ١٣ سبتمبر فوجئ المصريّون بالأعداء وفي مقدمتهم الأميرالاي عبد الرحمن ومن خلفه خنفس[١]، وأُخذ المصريون على غرّة في الميمنة والميسرة، وصمد للدفاع آلايان من السودانيين بقيادة الميرالاي محمّد بك عبيد، وظلوا يدافعون ضدّ الإنجليز حتى استشهد معظمهم وقتل قائدهم البطل محمّد عبيد[٢].

واستبسل أيضًا في القتال آلاي من البيادة بقيادة أحمد بك فرج، وآلاي عبد القادر بك عبد الصمد[٣]، أمّا حسن رضوان قائد المدفعيّة، فإنّه أصلى الإنجليز بمدافعه نارًا حامية، وأوقع بهم خسائر جسيمة مع تفوّق مدفعيّتهم وظلّ يقاتل حتى سقط جريحًا، ولما حُمل أسيرًا إلى ولسلي وأقبل حسن يقدم إليه سيفه -على حسب مألوف الحروب- لم يشأ ولسلي أن يأخذه إقرارًا منه بشجاعته وسموّ جنديّته![٤].

ولم يزد عدد الجنود الذين اشتركوا في المعركة على ثلاثة آلاف، أمّا الباقون فقد تولّاهم الذعر فألقوا أسلحتهم ولاذوا بالفرار، ولم تزد المعركة أكثر من عشرين دقيقة، ولم تزد خسائر الإنجليز منها عن ٥٧ قتيلاً منهم ٩ ضباط و٤٨ صف ضابط وجندي و٤٠٢ جريحًا منهم ٢٧ من الضباط، أمّا خسائر المصريين فقد تراوحت ما بين ١٥٠٠ أو ٢٠٠٠ قتيل[٥]، وهذا التقدير خيالي على حدّ قول داود بركات[٦].

ويمكن القول إن معركة التل الكبير كانت سلسلة خيانات وفضائح انتهت بهزيمة الجيش المصري، وهي هزيمة لا يستحقّها الجيش المصري على الإطلاق، وكانت الخيانة من أهم الأسباب التي أدّت إلى هزيمة الجيش المصري وانتصار الجيش الإنجليزي،

---

١. كفاحنا ضد الغزاة في العصر الحديث، م. س، ص٣٣٤.

٢. الرافعي، عبد الرحمن، الثورة العرابية والاحتلال الإنجليزي، مكتبة النهضة المصرية ١٩٤٩، الرفاعي، حازم، محمّد عبيد وشهداء مصر والسودان المنسيون، ص١٠.

٣. تاريخ الفكر المصري الحديث من عصر اسماعيل إلى ثورة ١٩١٩، م. س، ص٢٦٨.

٤. كفاحنا ضد الغزاة في العصر الحديث، م. س، ص٣٣٤-٣٣٥.

٥. الزعيم أحمد عرابي، م. س، ص١٨٩-١٩٠.

٦. الثورة العرابية بعد خمسين عامًا رؤية صحفية الأهرام (١٩٣١-١٩٣٢م)، م. س، ص٢٧١.

كانت الخيانة كبيرة وحلّت كلمة جديدة في أفواه المصريّين وهي «الولس كسر عرابي» أو «الولس هزم عرابي» وربما كان في العبارة تورية ذكية، الولس بالمصريّة الخيانة والولس هو ولسل القائد البريطاني[١].

وبين الخيانة من الداخل ومن الخارج، في السياسة وفي الميدان، وفي صفوف القوات كما في النظام الحاكم، جاء الانكسار الأخير في التل الكبير. لقد بدأ الاستعمار الحديث على حدّ قول جمال حمدان[٢]، ودخل الإنجليز القاهرة في ١٥ سبتمبر، فكانت بداية الاحتلال الإنجليزي، وظلّ عرابي -زعيم الثورة ورمزها- والثورة ذاتها موضعًا للهجوم من جانب الكثيرين، اتهم بأنّه السبب في الاحتلال البريطاني علمًا بأن هذا الاحتلال كان لا بدّ أن يتم سواء أحدثت الثورة أم لم تحدث، وعرابي ورفاقه من العسكريين قد تمرّدوا ضدّ الظلم والتفرقة والاستبداد الداخلي والتدخّل الخارجي، والتحموا مع شتّى قطاعات المجتمع المصري المتعطّشة للتغيير، في الوقت الذي حاولت فيه الفئات المستفيدة من الأوضاع القائمة أن تتآمر على الثورة وقيادتها، وكون الثورة قد فشلت في تحقيق أهدافها وواجهت الهزيمة ليس بالحدث الفريد، في القرنين التاسع عشر والعشرين، فكم من حركة وطنيّة في آسيا وأفريقيا واجهت الفشل في مواجهة تفوّق الدول الاستعماريّة قبل أن تترسّخ الظروف الموضوعيّة التي أدّت إلى انهيار الاستعمار العالمي، فعرابي ورفاقه هم الذين فجّروا عوامل الثورة في مصر ووضعوا حجر الأساس للحركة الوطنيّة المصريّة المناضلة التي لم تخمد جذوتها حتّى تحرّرت مصر من شتى ألوان النفوذ الأجنبي والطبقيّة والاستبداد الخديوي[٣].

---

١. أحمد عرابي الزعيم المفترى عليه، م. س، ص٤٨٩، ملحمة الصمود المصري في مواجهة جيش بريطانيا العظمى، م. س، ص٣٨.

٢. حمدان، جمال، شخصية مصر، ص٦٥٧.

٣. قيادة الثورة العرابية، م. س، ص٢٠٨.

قائمة المصادر والمراجع

١. أحمد سركيس، عادل، الخيانة هزمت عرابى، الهيئة المصريّة العامة للكتاب، ١٩٨٩م.

٢. أحمد شلبي، حلمي، الأقليات العرقية في مصر في القرن التاسع عشر، ط١، مكتبة النهضة المصريّة، القاهرة ١٩٩٣م.

٣. أحمد فريد علي، فطين، صفحات من تاريخ مصر الحديث، ط١، القاهرة ٢٠٠٧م.

٤. اشولش، ألكسندر، مصر للمصريين أزمة مصر الاجتماعيّة والسياسيّة (١٨٧٨-١٨٨٢م)، تعريب: رؤوف عباس حامد، دار الثقافة العربيّة، القاهرة، ١٩٨٣م.

٥. بركات، داود، الثورة العرابية بعد خمسين عاما رؤية صحفية الأهرام (١٩٣١-١٩٣٢م)، دراسة وتعليق: لطيفة محمّد سالم، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ٢٠٠١م.

٦. بيلي، أحمد، الصفوة العسكرية والبناء السياسي في مصر، الهيئة المصريّة العامة للكتاب، ١٩٩٣م.

٧. حافظ دياب، محمّد، انتفاضات أم ثورات في تاريخ مصر الحديث، سلسلة تاريخ الجانب الآخر إعادة قراءة للتاريخ المصري، الطبعة الأولى، دار الشروق، القاهرة، ٢٠١١م.

٨. الحريري، طارق، جيش الوطن في العصر الحديث، قراءة جديدة لمراحل تطور ودور العسكرية المصريّة (الحلقة الأولى) مقال منشور بمجلة المصور، عدد رقم ٤٧٨٥ بتاريخ ٢٢/٦/٢٠١٦م.

٩. حمدان، جمال، شخصية مصر، دراسة في عبقرية المكان، دار الهلال ١٩٩٤م.

١٠. الخفيف، محمود، أحمد عرابي الزعيم المفتري عليه، مطبعة دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ٢٠١٢م.

١١. خليل نقاش، سليم، مصر للمصرين، سلسلة تاريخ المصريين، عدد رقم ١٠٩، الهيئة المصريّة العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٨م.

١٢. رأفت عباس، محمّد، الجيش في مصر القديمة عصر الدولة الحديثة (١٥٥٠-١٠٦٩ق.م) الهيئة المصريّة العامة للكتاب، ٢٠١٥م.

١٣. الرافعي، عبد الرحمن، الثورة العرابية والاحتلال الإنجليزي، ط٤، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٣م.

١٤. ـــــــــــ، الزعيم أحمد عرابي. كتاب الهلال، العدد رقم ١٠، دار الهلال، القاهرة، ١٩٥٢م.

١٥. ـــــــــــ، عصر إسماعيل، ط٣، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٢م.

١٦. ـــــــــــ، عصر محمّد علي، ط٤، دار المعارف ١٩٨٢.

١٧. رشيد رضا، محمّد، تاريخ الأستاذ الإمام الشيخ محمّد عبده، سلسلة تراث النهضة، الهيئة المصريّة العامة للكتاب، ٢٠١٢م.
١٨. رمضان، عبد العظيم، أسرار هوجة عرابي، الهيئة المصريّة العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠٠١م.
٢١. زكي، عبد الرحمن، الجيش في مصر القديمة، سلسلة الجيش المصري، الهيئة المصريّة العامة للكتاب، ٢٠١٤م.
١٩. السعيد، رفعت، الأساس الاجتماعي للثورة العرابية، ط٣، الهيئة المصريّة العامة للكتاب ١٩٩٤م.
٢٠. سليمان نوار، عبد العزيز، تاريخ مصر الاجتماعي، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٨٨م.
٢١. السيد الطوخي، نبيل، تاريخ مصر الحديث (١٥١٧-١٩١٤م)، دار التيسير للطباعة والنشر، المنيا ٢٠٠٧م.
٢٢. شفيق، أحمد، مذكراتي في نصف قرن، من سنة ١٨٧٣ إلى ٨ يناير سنة ١٨٩٢، ط١، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ٢٠١٣م.
٢٣. شكري، محمّد فؤاد، مصر والسودان تاريخ وحدة وادي النيل السياسيّة في القرن التاسع عشر (١٨٢٠-١٨٩٩م) ط٣، دار المعارف بمصر ١٩٦٣م.
٢٤. الشلق، أحمد زكريا، تطور مصر الحديثة فصول من التاريخ السياسي والاجتماعي، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ٢٠١١م.
٢٥. صبيح، محمّد، كفاح شعب مصر في القرنين التاسع عشر والعشرين، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ٢٠١٢م.
٢٦. طوسون، عمر، صفحة من تاريخ مصر في عهد محمّد على الجيش المصري البري والبحري، مكتبة مدبولي، القاهرة، ١٩٩٠م.
٢٧. عبد الحكيم، طاهر، الشخصية الوطنيّة المصريّة قراءة جديدة لتاريخ مصر، مكتبة الأسرة، الهيئة المصريّة العامة للكتاب، ٢٠١٢.
٢٨. عبد الرحمن حسين، محمّد، نضال شعب مصر (١٧٩٨-١٩٥٦م)، سلسلة الثورة والحرّيّة، عدد رقم ١٣، دار الكتاب والوثائق القومية، القاهرة، ٢٠١١م.
٢٩. عبد الرحيم مصطفى، أحمد، الثورة العرابية، سلسلة المكتبة الثقافيّة، عدد رقم ٣٠، دار القلم، القاهرة، ١٩٦١م.
٣٠. ـــــــــــ، كفاحنا ضد الغزاه في العصر الحديث. منشور في عبد المنعم أبو بكر وآخرون كفاحنا ضد الغزاة، مكتبة النهضة المصريّة، ١٩٥٧م.

٣١. ـــــــــــــ، مصر والمسألة المصريّة من ١٨٧٦ إلى ١٨٨٢، الهيئة العامة لقصور الثقافة، ط٢، القاهرة.
٣٢. عبد الفتاح أبو الفضل، محمّد، تأملات في ثورات مصر «الثورة العرابية»، الهيئة المصريّة العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٩م..
٣٣. عبد القدوس، إحسان، البحث عن ثورة، سلسلة الثورة والحربية عدد رقم ٢٣، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ٢٠١١م.
٣٤. عبد الملك، أنور، دور الجيش في الثورة الوطنيّة المصريّة (١٩٥٢-١٩٦٧)، ترجمة: حسن قبيسي، مكتبة الأسرة، الهيئة المصريّة العامة للكتاب، ٢٠١٢م.
٣٥. عبد المنعم، فيصل، محمّد، معارك الثورة العرابية، كتاب التعاون السياسي، مؤسسة دار التعاون للطبع والنشر، القاهرة، ١٩٨١م.
٣٦. عبده، محمّد، الأعمال الكاملة للإمام الشيخ محمّد عبده. تحقيق وتقديم: محمّد عمارة، ط١، دار الشروق، القاهرة، ١٩٩٣م.
٣٧. عرابي، أحمد، مذكرات الزعيم أحمد عرابي كشف الستار عن سر الأسرار في النهضة المصريّة المشهورة بالثورة العرابية، دراسة وتحقيق: عبد المنعم إبراهيم الجميعي، المجلد الأول، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ٢٠٠٥م.
٣٨. العقاد، عباس محمود، ضرب الإسكندريّة في ١١ يوليو، كتاب اليوم، يصدر عن دار أخبار اليوم، عدد يوليو ١٩٥٢م.
٣٩. علوان، نيفين، التجنيد العسكري وأثره على المجتمع الريفي في مصر (١٨٢ - ١٨٨٢)، ط١، المجلس الأعلى للثقافة، ٢٠٠٩م.
٤٠. عوض، لويس، تاريخ الفكر المصري الحديث من عصر اسماعيل إلى ثورة ١٩١٩، دار الهلال، القاهرة، ٢٠٠١م.
٤١. عيسى، صلاح، الثورة العرابية، ط٢، دار المستقبل العربي، القاهرة، ١٩٨٢م.
٤٢. فهمي المهندس، محمود، البحر الزاخر في تاريخ العالم وأخبار الأوائل والأواخر، دراسة وتحقيق ومراجعة: لطيفة محمّد سالم، مطبعة دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ٢٠٠٧م.
٤٣. فوزى النجار، حسين، أحمد عرابى، مصر للمصرين، سلسلة أعلام العرب عدد رقم ١٤١، الهيئة المصريّة العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٢م.

٤٤. كرومر، لورد، الثور العرابية، ترجمة: عبد العزيز عرابي، مكتبة الأسرة، الهيئة المصريّة العامة للكتاب ١٩٩٩م.
٤٥. لبيب رزق، يونان، تاريخ الوزرات المصريّة (١٨٧٨-١٩٥٣م)، ط٢، الهيئة المصريّة العامة للكتاب ١٩٩٨م.
٤٦. لوتسكي، تاريخ الأقطار العربيّة الحديث، ترجمة: عفيفة البستاني، دار التقدم، موسكو ١٩٧١م.
٤٧. محمّد جبريل، مصر من يريدها بسوء؟، كتاب الحرّيّة عدد رقم ١٢، دار الحرّيّة، القاهرة، يونيو ١٩٨٦م.
٤٨. محمّد سالم، لطيفة، التدخل الأجنبي والثورة الوطنيّة (١٨٧٩-١٨٨٢م) تقديم ومراجعة: يونان لبيب رزق، المجلس الأعلى للثقافة ٢٠٠٩م.
٤٩. ـــــــــــ، التيار الديني في الثورة العرابية (١٨٨١-١٨٨٢م)، تحرير: عاصم الدسوقي، مركز البحوث والدراسات الاجتماعيّة، ط١، ٢٠٠٣م.
٥٠. ـــــــــــ، القوى الاجتماعيّة في الثورة العرابية، الهيئة المصريّة العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨١م.
٥١. محمّد طه، سمير؛ عرابي، أحمد، ودوره في الحياة السياسيّة المصريّة، الهيئة المصريّة العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٦م.
٥٢. محمّد عبد محمّد عبد الرحمن الشرقاوي، سامية، المرأة في مصر في القرن التاسع عشر ودورها في الحياة الاجتماعيّة والاقتصاديّة، مكتبة الأداب، ط١، القاهرة، ٢٠١٠م.
٥٣. محمود السروجي، محمّد، الجيش المصري في القرن التاسع عشر، ط١، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعيّة، الجيزة، ٢٠١٢م.
٥٤. مصطفى، أحمد عبد الرحيم، قيادة الثورة العرابية، منشور في مصر للمصريين مائة عام على الثورة العرابية، مركز الدراسات السياسيّة والاستراتيجية بالأهرام، القاهرة، ١٩٨١م.
٥٥. النمنم، حلمي، الأزهر الشيخ والمشيخة، مكتبة الأسرة، الهيئة المصريّة العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠١٢م.
٥٦. نينيه، جون، رسائل من مصر (١٨٧٩-١٨٨٢م)، تصدير: أنور لوقا، ترجمة: فتحى العشري، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ٢٠٠٥م.